﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾

[الأنبياء:51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

قِصَّةُ إبراهيمَ مع قَومِه شاهِدٌ على بُطلانِ الشِّركِ الذي كان مُماثِلًا لحالِ المُشركينَ

بعد أنْ أنكرَ القرآنُ على المشركين كفرُهم بما أُنزِل على النّبيّ ﷺ مِنَ الذّكرِ المبارك - وهم أولى النّاس بتصديقِه - أعْقَبَ بذِكرِ قصَّةِ إبراهيمَ مع قَومِه شاهِدًا على بُطلانِ الشِّركِ الذي كان مُماثِلًا لحالِ المُشركينَ بمكَّةَ الّذي جاء مُحمَّدٌ ﷺ لِقَطعِ دابِرِه؛ لأنَّ إبراهيمَ كان المثَلَ الأوَّلَ قبل مجيءِ الإسلامِ في مُقاومةِ الشِّركِ؛ إذ قاومَه بالحُجَّةِ وبالقوَّةِ وبإعلانِ التّوحيدِ(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رُشۡدَهُۥ﴾: (رشد) أصْلٌ يدلّ على استقامةِ الطّريق، والرُّشْدُ والرَّشَدُ: خلافُ الغَيِّ(2)، ونقيضُ الضّلال، وأرْشَدَه اللّهُ إلى الأمر: هداهُ، والرُّشْدُ هو صلاحُ الأمرِ وكونُه على الوجه الصّحيح، وهو استقامةٌ على الطريقِ الحقّ مع تصلّبٍ فيه(3)، وقيل: الرُّشْدُ والرَّشَدُ والرَّشاد: الهدايةُ والاستقامة(4)، ومعنى ﴿رُشۡدَهُۥ﴾ في الآية: هُداه(5)، أي: الاهتداء لوجوه الصّلاحِ في الدّين والدّنيا(6)، وقيل المراد بالرُّشْد هنا: النُّبُوّة(7).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 92.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رشد).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدِيّ، تاج العروس: (رشد).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 2/ 93.
(5) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 100.
(6) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 121، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 151، والبَيْضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 53.
(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 151.

2) ﴿عَٰلِمِينَ﴾: العِلْمُ: نَقيضُ الجَهْلِ، وتَعَلَّمتُ الشَّيءَ إذا أَخَذْتُ عِلْمَهُ[1]، وعَلِمتُ الشَّيءَ: عَرَفْتُه حقَّ المعرفة، وعَلِمَ بِالشَّيْءِ: شَعَرَ، وعَلِمَ الأمرَ وتَعَلَّمَه: أتقَنَه، والعالِمُ: الّذي يَعْمَلُ بما يَعْلَم[2]، والعِلْمُ: إدراكُ الشَّيءِ بحقيقته، وهو معرفةُ الشَّيء على ما هو عليه، والعالِمُ في وصف اللّه هو الّذي لا يخفى عليه شيء[3]، ومعنى ﴿عَٰلِمِينَ﴾ في الآية، أي: علمنا أنّه أهلٌ لِما آتيناه[4]، وأنّه مَوضعٌ لإيتاء الرّشد، وأنّه يصلحُ لِلنُّبُوَّة[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إخبارٌ بأنّه سبحانه آتى إبراهيمَ رشدَه وأنّه عالمٌ بأنَّ إبراهيمَ أهلٌ لهذا الإيتاء

المعنى الإجماليّ في البيان الإلهيُّ: ولقد آتَينا إبراهيمَ الاهتداءَ لوجوه الصلاحِ من رفضِ الأصنام، ومن النُّبوَّةِ فما دونَها، مِن قَبْلِ موسى وهارونَ، ووفَّقْناه للحَقِّ، وأنقَذْناه مِن بينِ قَومِه وأهلِ بَيتِه مِن عِبادةِ الأوثانِ، كما فعَلْنا ذلك بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وكنّا بإبراهيم عالِمينَ أنَّه ذو يقينٍ وإيمانٍ باللّه وتوحيدٍ له، وأنّه لا يشركُ به شيئًا، أي كنّا عالمين أنّه أهلٌ لذلك الهُدى[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة العطف بالواو في الآية:

العطفُ على قصّةِ إبراهيم تصديقٌ لرسالةِ النبيّ ﷺ لتشابه حالَيهما

عَطَفَ البيانُ الإلهيُّ قولَه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ على قوله ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ بجامعِ أنَّ كُلًّا من محمَّدٍ وإبراهيمَ عليهما الصّلاة والسّلام مرسلٌ من ربِّ العالمين لهدايةِ قومه إلى عبادةِ اللّه الواحدِ الأحد، لِما بين القومين من تشابهٍ في

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (علم).
(3) الرّاغب، المفردات: (علم)، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 3/ 111.
(4) النَّسَفِيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 407.
(5) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 102.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 455.

عبادتهم للأصنام، إلا أنّ الآيةَ الأولى تتحدّثُ عن إيتاءِ اللّه الرّشدَ لإبراهيم في محاجّةِ قومه بالأدلّةِ العقليّةِ والسّمعيّة؛ لإبطالِ هذا الشّرك، والثانيةَ تتحدّثُ عن إنزالِ الذّكرِ المباركِ بما يتضمّنه من توحيدِ اللّه وإبطالِ شركِ قومه.

بلاغة التّوكيد بـ(اللّام) و(قد):

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ تأكيدُ الخبَرِ عنه بـ(لام القسَم) وبـ(قد) الّتي تفيد التّحقيق؛ لتَنزيلِ العرَبِ في مُخالَفتِهم لشَريعةِ أبيهم إبراهيمَ مَنزلةَ المُنكِرِ؛ لكونِ إبراهيمَ أوتيَ رُشْدًا وهَدْيًا[1]، أي: تأكيدُ إتيانِ إبراهيم العلمَ والإدراكَ، والنّفاذَ إلى الحقائق في وسطِ الجهالةِ التي مَنعتِ العقول من الإدراك السّليم، وكيف انتهى به تأمّله إلى الإدراكِ الكامل لمعنى الألوهيّة المنزّهة عن المشابهةِ للحوادثِ في أفولها وظهورها، وفي فنائها وبقائها[2].

تـشـنـيـعٌ عـلى العربِ المشركين المنكرين شريعةَ إبراهيم

سرّ إضافة الفعل ﴿ءَاتَيْنَآ﴾ إلى ضمير التّعظيم:

الإخْبارُ عَنْ إيتاءِ إبْراهيمَ الرُّشْدَ بإسْنادِ الإيتاءِ إلى ضميرِ الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾، أي: آتَيْناه بِما لنا مِنَ العَظَمَةِ[3]؛ للتّنبيه على تربيةِ المهابةِ تُجاه المؤتي سبحانه، وعلى تَفْخيمِ ذلك الرُّشْدِ الَّذي أوتيَهُ إبراهيم، وعلى أنَّه إيتاءٌ مؤكّد بعظمتنا، فهو إيتاءٌ مِنَ اللّه تعالى ووحْيٌ كما أوتيَ مُحَمَّدٌ ﷺ القُرْآنَ، فكيف يُنْكِرون إيتاءَ القُرْآنِ وهم يَعْلَمونَ أنَّ إبراهيم عليه السلام ما جاءَ إلّا بِمِثْلِه؟[4].

في تفخيمِ الرُّشدِ الـــذي أوتـيـه إبراهيم تصديقٌ للنّبيّ الذي كان على ملّته

غرضُ ذكر إبراهيم مُقدَّمًا على نوح ومؤخَّرًا عن موسى عليهم السلام:

ذَكَرَ البيانُ القرآنيُّ قِصَّة إبْراهيمَ في سياقِ توبيخِ المشركين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 92.
(2) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4881.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 433.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 92.

وتقريعِهم على جحودهم صدقَ القرآن الكريم، وهم أولى النّاس بتصديقه، على الرُّغم من إقرارهم برسالةِ موسى وهارون؛ لأنّ إبراهيمَ صاحبُ دعوةٍ ورسالةٍ كموسى وهارون ومحمّد عليهم الصّلاة والسّلام، ولأنّه أبو هؤلاء الأنبياء، وشَريعَتُه أشْهَرُ شَريعَةٍ بَعْدَ شَريعَةِ موسى، ومن جهةٍ أخرى، فإنَّ موقفَ إبراهيمَ من قومه العابدين للأصنام هو نفسُ الموقف الذي يقفهُ محمّدٌ ﷺ من قومه، أي: إنّ في ذلك تَورُّكًا على المُشْركينَ مِن أهْلِ مَكَّةَ إذْ كانوا على الحالةِ الَّتي نَعاها جَدُّهم إبْراهيمُ على قَوْمِه، وكَفى بِذَلِكَ حُجَّةً عليهم[1]، ولأنَّ حالَ إبراهيم أشبَهُ بحالِ النَّبيِّ ﷺ من حيثُ إيتاءُ الكتاب، وكثْرةُ الدَّلائلِ القاهرةِ، ومُقاساةُ الشِّدَّةِ، وثِقَلُ أعْباءِ النُّبوَّةِ والدَّعوةِ، وكثرةُ التَّوابِعِ والأُمَّةِ، وأنَّ حالَ إبراهيمَ عليه السلام أقرَبُ إليه مِن حالِ نوحٍ عليه السلام، ولذا روعيَ في تأخُّرِه هذه اللَّطيفة[2].

إبـراهـيـمُ المـثـلُ الأوّل في مقاومةِ الشِّركِ والأقربُ لحالِ النّبيّ مع قومه

إيثار لفظ (الرّشد):

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ الرُّشد في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾، ولم يقل: آتينا إبراهيمَ هُداه؛ لكونِ الرّشد أوسعَ دلالةً من الهدى؛ فهو ليس مجرّدَ هدايةٍ إنّما هو هدايةٌ واستقامة[3]، وثباتٌ على الطّريقِ الحقِّ مع تصلّبٍ فيه[4]، وقوّةٌ بَعْدَ الهِدايَةِ، فالرُّشدُ هدايةٌ إلى الطّريقِ الأسَدِّ الصّحيح الصائبِ الأقْصَدِ، بخلافِ الهداية التي هي في أصلها الدّلالةُ المطْلَقة[5]، والمعنى: آتيناه صَلاحَهُ وإصابَتَهُ وجْهَ الأمرِ، واهْتِداءَهُ إلى عَيْنِ الصَّوابِ وأدَلِّ الدَّلالَةِ وأعْرَفِ العُرُفِ، وأشْرَفِ القَصْدِ الَّذي جبلناه عليه[6]، ولكونه بهذا المعنى

الـرّشـدُ قـوّةٌ بـعـد الـهـدايـةِ واستقامةٌ وثباتٌ عـلـى الـطـريـقِ الحقِّ مع تصلّبٍ فيه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 92، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 911.
(2) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 361.
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 2/ 93.
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (رشد).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رشد).
(6) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 434.

الّذي يعمّ وجوهَ الصّلاحِ بأسرها يحقّقُ غايةَ اختصارٍ مع جزالة المعنى[1]، ولكونه أنسبَ مع السّياقِ الّذي أُضيفَ فيه الفعل ﴿ءَاتَيۡنَآ﴾ إلى ضميرِ التّعظيم، وأنسبَ مع علوِّ مقام أبي الأنبياء إبراهيمَ ﷺ، وعظيم شأنه.

توجيه إضافة الرُّشد إلى إبراهيم ﷺ:

رشـدُ إبـراهيـم رُشْـدٌ انـفـردَ به بين قومه وكانَ مَـضْـرِبُ المثـلِ قائمًا به

إضافَةُ (الرُّشْدِ) إلى ضميرِ إبْراهيمَ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾ من إضافةِ المصدرِ إلى مفعولِه، أي: الرُّشْدُ الَّذي أُرْشِدَهُ، وفائدةُ هذه الإضافةِ التَّنبيهُ على عِظَمِ شَأْنِ هذا الرُّشْدِ الَّذي أوتيَهُ، أيْ رُشْدًا يليقُ به، ولأنَّ رُشْدَ إبْراهيمَ قد كانَ مَضْرِبَ الأمثالِ بين العربِ وغيرهم، أيْ: هو الَّذي عَلِمتُم سُمعَتَهُ الَّتي طَبَّقَتِ الخافِقَيْنِ فما ظَنُّكم برُشْدٍ أوتيَهُ من جانبِ اللّه تعالى، فإنّ الإضافة على معنى اللّام المُفيدةِ للاختصاصِ، فكأنَّه انفرَدَ به بين قومِه، وأنّه رُشْدٌ مخصوصٌ به، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ إبْراهيمَ كانَ قَدِ انْفَرَدَ بالهُدى بَيْنَ قَوْمِه، وزادَهُ تَنويهًا وتَفخيمًا تَذييلُه بالجُملةِ المُعترضةِ، وهي قولُه تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾، والمعنى: واللّه لقد آتينا بجلالتنا وعِظَمِ شأننا الرُّشْدَ اللّائقَ بِعُلوِّ مَقامِ خليلِ الرّحمن وعِظَمِ شَأْنِه وبأمثالِه مِنَ الرُّسُلِ الكِبارِ[2]، وهو الاهْتِداءُ الكاملُ المُسْتَنِدُ إلى الهدايةِ الخاصَّةِ الحاصلةِ بالوحْيِ، والاقْتِدارُ على إصْلاحِ الأُمَّةِ باسْتِعْمالِ النَّواميسِ الإلَهيّةِ[3]، ويشملُ الخِلّةَ والإمامةَ العامّة، وكونَه قدوةَ المحقّقين والمستدلّين على التّوحيد وغير ذلك ممّا لم يؤتَ نبيٌّ قبلَه ولا بعدَه سوى نبيِّنا عليه الصّلاة والسَّلامُ[4]،

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 535.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 437.
(3) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 360، والبِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 434، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 72.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 535.

وفي هذا كلِّه تعريضٌ بالمشركين لمُخالفتهم شريعةَ أبيهم إبْراهيمَ في محاربةِ الأوثانِ، وتحقيقِ التَّوحيد على الأرض.

دلالة ﴿مِن﴾ مع ﴿قَبْلُ﴾:

إبراهيمُ سابقٌ في رُشْده فقد أُوتيَه قبلَ نُبُوّته وقبلَ موسى ومحمّدٍ ﷺ

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ ابتدائيّة، ويختلفُ المعنى وفْقَ معنى ﴿قَبْلُ﴾، أي: فإمّا أنْ يكون مِن قبْلِ إيتاءِ موسى وهارونَ التَّوراةَ، وإنّما قدّمَ ذِكْرَ إيتاءِ التَّوراةِ لِما بَيْنَه وبينَ إنْزالِ القُرآنِ مِنَ الشَّبه التّامِّ[1]، أو للتَّنبيه على أنَّه ما وقَعَ الابتداءُ بإيتاءِ الذِّكْرِ لموسى وهارونَ إلّا لأنَّ شَريعتَهما لم تزَلْ مَعروفةً مَدروسةً[2]، وإمّا أنْ يكون المعنى من قبل محمّد ﷺ[3]، أو من قَبْلِ نبوّة إبراهيم، أي: وفّقناه للنّظرِ والاستدلالِ[4]..

توجيه العطف بالواو:

إيتاءٌ عظيمٌ مترتّبٌ على علمِ الله الأزليِّ بأنّ إبراهيمَ يستحقّه

عطفَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ على جملةِ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾؛ بجامع أنّ الفاعلَ في كلٍّ منهما هو الله ﷻ، أي: في ﴿ءَاتَيْنَآ﴾ و﴿وَكُنَّا﴾، ولكنّه في الأُولى أخبرَ عن إتيانه إبراهيمَ الرشدَ، وفي الثانية أخبرَ عن مدحِ إبراهيمَ بكون الله عالمًا علمًا أزليًّا بأنَّ إبراهيم أهلٌ لإيتاءِ الرُّشْدِ وصالحٌ لِلنُّبوَّةِ، قال البَيضاويُّ: "عَلِمنا أنّه أهلٌ لما آتيناه"[5]، وفي هذا العطفِ بين الجملتين إشارةٌ إلى زيادةِ تفخيمِ هذا الإيتاءِ من اللهِ، وعظمِ مكانةِ إبراهيم عنده؛ لأنّها أفادتْ أنّه إيتاءٌ مترتّبٌ على علمه الأزليّ سبحانه بأنّ إبراهيم يستحقّه.

سرّ التعبير بفعل الكون الماضي المعظّم:

في تأكيدِ علمِ اللهِ بحالِ إبراهيم ظاهرًا وباطنًا مدحٌ للرُّشْدِ الّذي اخْتُصَّ به

آثر البيانُ الإلهيُّ استعمالَ فعلِ الكون الماضي مضافًا إلى جمعِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 72.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 93.
(3) النَّسَفِيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 408.
(4) القُرْطُبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 296.
(5) البَيْضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 53.

التّعظيم ﴿وَكُنَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾؛ للدّلالةِ على مدحِ الرُّشْدِ الّذي اخْتُصَّ به إبراهيمُ ﷺ؛ بتأكيدِ علمِ اللّه لحالِ إبراهيم ظاهرًا وباطنًا، أيْ إنَّهُ يَسْتَحِقُّ ما أُهِّلَ لهُ، وهذا نحوَ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:124][1]، لأنّ قوله ﴿وَكُنَّا﴾ تفيدُ معنى الأزليّة[2]؛ أي علمه بحالِ إبراهيم ﷺ وشؤونه علمُ إحاطةٍ وشمول، والمعنى: وكُنّا بِما لنا مِنَ العَظَمَةِ عالمين بإبراهيم ظاهِرًا وباطِنًا، وأنّه خَيِّرٌ يَدومُ على الرُّشْدِ، ويَتَرَقّى فيه إلى أعْلى دَرَجاتِه لِما طَبَعْناهُ عليه بِعَظَمَتِنا مِن طبائِعِ الخَيْرِ[3].

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿بِهِۦ﴾ على الخبر:

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ شبهَ الجملة ﴿بِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾، ولم يقل: (وكنّا عالمين به)؛ للاهتمام والعنايةِ بالمقدَّم وهو إبراهيمُ ﷺ، ورفعةِ شأنِ الرُّشْدِ الّذي اخْتُصَّ به، ولِما يُحَقِّقُه هذا التّقديم من إحكامٍ في اللّفظِ والمعنى.

اهْتِمامٌ وعِنايَةٌ بإبراهيمَ ﷺ وبرُشْدِه

سرّ التّعبير باسم الفاعل المجموع ﴿عَٰلِمِينَ﴾:

استعملَ البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾، صيغةَ اسمِ الفاعلِ ﴿عَٰلِمِينَ﴾ ولم يستعملْ صيغةَ المضارعِ: (وكنّا نعلمُ به)؛ للدّلالةِ على ثباتِ صفةِ علمِ اللّه الأزليّ بكلّ جزئياتِ أحوالِ إبراهيمَ ﷺ في كلِّ الأوقاتِ والأمكنة، أي: عالمينَ بنشأته وتربيته وأفعاله وأقواله، وكيف ربّيناهُ، وكيف صُنِعَ على أعْيُنِنا، وربّينا فيه روحَ الحقِّ وتَتَبُّعَه والوصولَ إليه[4]، وجاء اسمُ الفاعلِ مجموعًا؛ لإفادةِ التّفخيم والتّعظيم لعِلْمِ اللّه سبحانه.

عِلْمُ اللّه الأزَليُّ الثّابتُ بأحوالِ إبراهيم شاهدٌ على كمالِ رُشْدِه

(1) ابن عطيّة، المُحَرَّرُ الوجيز: 4/ 86.
(2) لكونها في حقّ الله تعالى، ينظر: الرّاغب، المفردات: (كان).
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 434.
(4) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4881.

بلاغة جملة الفاصلة الاعتراضيّة:

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ جملةٌ اعتراضيةٌ بين جملةِ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ وجملةِ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾؛ إذ أصلُ الكلام (ولقد آتينا إبراهيم رُشدَه من قبلُ؛ إذ قال لأبيه وقومه)، والغرضُ منها المبالغةُ في التنويه بأهليّةِ إبراهيم عليه السلام للرّشد الكامل، والتّفخيم والتّعظيم لشأنِ هذا الرّشد الّذي أُوتيَهُ من جانبِ اللّه تعالى وانفردَ به، والمعنى: آتَيناه رُشدًا عَظيمًا على عِلمٍ مِنّا بأنَّه أهلٌ لذلك الرُّشدِ، وهذا العِلمُ الإلهيُّ مُتعَلِّقٌ بالنّفسيَّةِ العظيمةِ الّتي كان بها محَلَّ ثَناءِ اللّه تعالى عليه في مواضِعَ كَثيرةٍ مِن قرآنِه، أي: عَلِمَ مِن سَريرتِه صِفاتٍ قد رَضيَها وأحمَدَها، فاستأهَلَ بها اتّخاذَه خَليلًا، كقولِه تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾ [الدّخان:32]، وقولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:124][1].

عِلمُ الله بأحوالِ إبراهيم مبالغةٌ في التنويه بأهليّة رشده وتفخيمٌ لهذا الرُّشدِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّشد والهدى والحِكْمة والحلم:

الرُّشد: خلافُ الغَيِّ والضّلال، وهو استقامةٌ على الطّريق الحقّ مع تصلّبٍ فيه، والهداية وصلاحُ الأمرِ على الوجه الصّحيح بإصابة الصّواب[2]، والهدى: خِلافُ الضَّلالَة، وأصله التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشادِ[3]، والدّلالةُ بلطفٍ إلى ما يُوصِلُ إلى المطلوب، بالإرشاد، والتّعريف، والبيان[4]، والاهتداءُ يختصُّ بما يتحرّاه الإنسانُ على طريقِ الاختيار، إمّا في الأمور الدّنيويّة، أو الأخرويّة[5].

شدّة ضلال قوم إبراهيم عليه السلام تَتَطلّب شدّةً في إظهار الحقّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 93.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبِيدِيّ، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (رشد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هدي).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (هدى).
(5) الرّاغب، المفردات: (هدى).

والحكمةُ: مَعْرِفَةُ أَفْضَلِ الأشياء بِأَفْضَلِ العُلوم، ويُقالُ لِمَنْ يُحْسِنُ دَقائِقَ الصِّناعات ويُتقنها حَكيمٌ[1]، والحكمةُ: إصابةُ الحقّ بالعلمِ والعقل، والحكمة من اللّه: معرفةُ الأشياءِ وإيجادها على غايةِ الإحكام، ومن الناس: معرفةُ الموجوداتِ وفعل الخيرات[2]، وسُمّيَتِ الكلمةُ الواعظةُ حكمةً لأنّها تَمنع عن التّورّط في الجهل[3].

والحِلْمُ: الأناةُ، والعقلُ، وتَرْكُ العَجَلَةِ، وضبطُ النَّفس والطَّبْعِ عَن هَيَجانِ الغَضَب، وهو خِلافُ الطَّيْشِ[4]، والحِلْمُ: التّروّي والتّدبّر قبل الحكم[5].

ولمّا تضمّنَ الرُّشدُ معنى الصّلاح والهداية إلى الطّريقِ الحقّ مع تصلُّبٍ فيه، ناسب سياق مواجهة إبراهيمَ عليه السلام لأبيه وقومه لاتّسامِها بالشّدّة، والقوّة، والتّهديد.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (حكم).
(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 1/ 441.
(3) العسكريّ، الوجوه والنَّظائر، ص: 180 - 181.
(4) الجوهريّ، الصِّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والزَّبِيديّ، تاج العروس، والمعجم الوسيط: (حلم).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حلم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»